

معركة أقرن أواخر العهد الأموي وانعكاساتها على الصراع الإسلامي البيزنطي

The battle of Akroinon late Ummayyad period and its effect on the Byzantine-Muslim conflict

منصف مباركية *

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - (الجزائر)، البريد الإلكتروني hippone_cityboy@hotmail.com

Moncef Mebarkia *

Emir Abd El Kader University of Islamic Sciences -Constantine- (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/01/25

تاريخ القبول: 2022/12/03

تاريخ الاستلام: 2021/07/25

ملخص:

كانت معركة أقرن (أكروينون Akroinon) سنة 122هـ/740م محطة مؤثرة في الصراع بين المسلمين والامبراطورية البيزنطية، فالمسلمون الذين تبنا منظومة حملات الصوائف والشواتي منذ العهد الراشدي كوسيلة فعالة لردع الروم وابقائهم تحت الضغط المستمر، بدأوا يواجهون مصاعب حقيقية في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية في الثغور وداخل ميدان آسيا الصغرى تحت قيادة الأسرة الإيسورية قبل أن يصطدم الطرفان في موقعة أقرن التي تكبد فيها المسلمون هزيمة كبيرة كانت لها تداعيات مؤثرة على الصراع بين الطرفين، وهذا المقال يركز على دراسة هذه الجزئية بالذات كإشكالية رئيسية يتمحور حولها الموضوع من خلال محاولة إبراز التحولات التي ترتبت على العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بعد هذه المواجهة؟.

استطاع الروم في هذه المعركة تحقيق انتصار عسكري استراتيجي، وكذلك معنوي على قدر كبير من الأهمية ما أكسبهم ثقة أكبر في امكانياتهم ودفعهم للتخلي عن عقيدتهم العسكرية الدفاعية التي انتهجوها طيلة عقود في مواجهة المسلمين لصالح السياسة الهجومية، بالمقابل ساهمت نتائج هذه المعركة في إرباك المسلمين وأفقدتهم عامل التفوق المعنوي ومعه زمام المبادرة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الأموية، الإمبراطورية البيزنطية، الصوائف، أقرن، عبد الله البطل.

Abstract:

The battle of Akroinon in 122AH/740AD was a major confrontation between the Ummayyad Caliphate and the Byzantine Empire, until 740AD Muslims have been sending a seasonal expeditions almost every year to attack Byzantine forts or major settlements for the past century.

However the battle resulted in a decisive Byzantine victory, and this success changed the nature of war between the two powers, where the Byzantines became more offensive, and the Arab pressure on Byzantium was slackened.

Keywords: Ummayyad Caliphate, Byzantine Empire, Summer Expeditions, Akroinon, Abdallah al-Battal.

* منصف مباركية

1- مقدمة

حظيت المواجهات الأموية البيزنطية على طول الحدود البرية بينهما باهتمام كبير من طرف المؤرخين باعتبار هاتين الدولتين كانتا أكبر قوتين متجاورتين في وقتها وجمعتهما علاقات ندية إلى أقصى حد، وقد كانت هذه الصدامات العسكرية المستمرة، التي امتلكت فيها الدولة الأموية زمام المبادرة، تعتبر المظهر الغالب على علاقات التفاعل بينهما، حيث اعتمدت الدولة الأموية منذ تأسيسها في مواجهة خصمها الوحيد المكافئ لها تقريبا على استراتيجية ردعية تقضي بإرسال حملات عسكرية موسمية تُعرف بالصوائف والشواتي تقوم بعمليات سريعة وخاطفة لاستهداف مناطق متفرقة من الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى بشكل سنوي، وقد كان هذا التقليد الموسمي قد تمّ استحداثه واعتماده منذ العهد الراشدي على شكل حملات صيفية فقط في البداية، وكانت معركة أقرن (أكروينون Akroinon) أواخر العهد الأموي من أبرز المواجهات المباشرة بين الطرفين باعتبارها أكبر تحرك عسكري قام به المسلمون ضدّ الروم منذ الحملة ضدّ القسطنطينية أواخر القرن الأول هجري، وقد حظيت هذه الموقعة باهتمام الدارسين وتمّ التركيز عليها كمعركة محورية بين الخصمين غيرت مجرى الأحداث بعدها حتّى عدّها البعض حدثا مفصليا بين مرحلتين متباينتين في تاريخ العلاقات بين المسلمين والروم، بل وذهب البعض حتّى إلى اعتبارها نقطة النهاية للمد العربي في آسيا الصغرى. وتتمحور إشكالية الموضوع حول هذه النقطة بالذات وكيف غيرت فعلا معركة أكروينون قواعد الصراع بين المسلمين والروم، وما هي التحولات التي أحدثتها في العلاقات بين الطرفين؟ وهل مثلت فعلا نهاية التوسع العربي في آسيا الصغرى؟

سنحاول في هذا المقال الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال استعراض الظروف العامة التي أحاطت بالمعركة، وأهم تفاصيلها والنتائج المترتبة عنها، وكذا انعكاساتها على العلاقات الأموية البيزنطية، وذلك من خلال جمع الروايات التاريخية ذات الصلة بالموضوع من مختلف المصادر خاصة العربية والبيزنطية، ومقارنتها وتحليلها لتشكيل صورة متكاملة ومتوازنة عن الحدث وتداعياته.

2- نبذة عن منظومة حملات الصوائف والشواتي

الصوائف والشواتي عبارة عن حملات عسكرية سنوية تنطلق التي تعرف منها بالصوائف عادة مع اعتدال المناخ بين شهري ماي وجويلية وتستمر حتّى نهاية فصل الصيف وتعتبر هذه الحملات الصيفية هي الحملات الرئيسية ففيها يكون الجو ملائما والغزو ميسورا والمراعي متوفرة والخيل قوية بعد أن تمّ تهيتها طيلة فصل الربيع، أمّا الشواتي فتنتطلق عادة نظريا أواخر شهر فيفري، وبخلاف الصوائف لا تستغرق هذه الحملات الشتوية وقتا طويلا كما أنّها لا تتوغل كثيرا في بلاد الروم، وهي لا تكون إلّا للضرورة (ابن خردادبة، 1889: 259) نظرا للبرودة الشديدة التي تميز آسيا الصغرى في هذا الفصل وأيضا لعدم توفر المراعي لخيول المسلمين أثناء الغزو ما يضطرهم إلى حمل أعلاف دواهم معهم ما يحدّ من مجال نشاطهم كثيرا.

بدأت أولى الخطوات لتنظيم الثغور وإطلاق حملات الصوائف والشواتي في اجتماع الجالية الشهير الذي عقده الخليفة عمر بن الخطاب مع قادة جيوشه في الشام سنة 17هـ/638م (Cheira, 1947: 68)

حين وضع أسس نظام محكم لمواجهة أخطار الجبهة البيزنطية، أين قرّر تأمين منطقة الحدود وتنظيم الشام إداريا وعسكريا، ومباشرة إرسال حملات لاستهداف بلاد الروم (الطبري، 1969: 64/4)، ورغم أنّ المصادر تختلف في تحديد تاريخ أول صائفة تمّ تنفيذها لكن على الأرجح أنّها كانت سنة 642هـ/642م بقيادة عمير بن سعد الأنصاري (راجع التعليق رقم 1) وضمت عددا كبيرا من الجند وتوغلت في بلاد الروم حتّى وصلت إلى منطقة تطلق عليها المصادر العربية "الحمار" فخرّبتها وقتلت أهلها (البلاذري، 1992: 159-160)، حيث يبدو أنّ كلّ الظروف كانت مواتية لإطلاق حملات الصوائف في هذا التاريخ بعد أن تمّ تأمين الشام من الجهة الشرقية مع سيطرة المسلمين على الجزيرة وتنظيم المنطقة الحدودية بها سنة 641هـ/641م (Cheira, 1947: 67) وقد استمرّ المسلمون في إرسال هذه الحملات بشكل سنوي تقريبا في العهد الراشدي حتّى سنة 654هـ/654م، وقد لعب معاوية بن أبي سفيان دورا حيويا في ترسيخ وإرساء معالم هذه الاستراتيجية في تلك الفترة عندما كان واليا على الشام والجزيرة.

بعد تأسيس الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان 661هـ/661م تمّ إعادة إطلاق الحملات السنوية بعد توقف دام حوالي ثماني سنوات بسبب انشغال المسلمين بالفتنة الكبرى (انظر التعليق رقم 2)، وقد عرفت هذه المنظومة في ظلّ حكم معاوية تطورا كبيرا في أدائها خاصة مع إضافة حملات الشواقي إليها (انظر التعليق رقم 3)، وقد واصل جهود الحفاظ على هذه الاستراتيجية من بعده عبد الملك بن مروان وخلفائه أين تمّ إضافة تعديلات بنوية على منظومة الصوائف والشواقي بلغت ذروتها مع استحداث نظام الصائفتين نهاية القرن الأول هجري/بداية القرن الثامن ميلادي حيث أصبح يتمّ إرسال حملتين منفصلتين بشكل متزامن، إحداهما تدخل بلاد الروم من ملطية أو الحدث أو مرعش (راجع التعليق رقم 4) عبر الجزيرة الفراتية وهي الصائفة اليمنى، والأخرى تدخل بلاد الروم من درب البوابات القيليكية مروراً بأنطاكية وهي الصائفة اليسرى، وهذا التعديل على نظام حملات الصوائف حدث بعد فترة قصيرة من إجراء تعديل على منطقة الحدود حيث تمّ فصل الجزيرة عن قنسرين وجعلها جندا مستقلا بذاته أواخر عهد عبد الملك بن مروان (البلاذري، 1992: 154) وهكذا ستظهر جبهتين من العمليات مستقلة إحداهما عن الأخرى، وستبدأ المصادر بذكر حملتين منفصلتين بشكل متزامن على بلاد الروم منذ سنة 709هـ/709م لكنها مع ذلك لا تذكرها تصرّحا بشكل واضح ومباشر لأول مرّة إلا في أحداث سنة 93هـ/712م (ابن عساكر، 1995: 361/57).

لقد حققت حملات الصوائف والشواقي منذ تأسيسها حتّى عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) عدّة مكاسب للدولة الإسلامية إذ نجحت خلال الفترة المروانية بالتحديد في فتح عدة مدن وحصون والسيطرة على أخرى داخل الأراضي البيزنطية مثل المصيصة Mopsuestia سنة 84هـ/703م (البلاذري، 1992: 193-194؛ راجع التعليق رقم 5)، وطوانة Tyana سنة 88هـ/707م (الطبري، 1969: 434/6؛ راجع التعليق رقم 6)، وطرندة Taranton سنة 92هـ/711م (Michel, 1901: 479/2) وأنطاكية Antioch في إقليم بيسيديا سنة 94هـ/713م (Theophanes, 1997: 533) وهرقلة Heraclea وحصون أخرى سنة 95هـ/714م (الطبري،

1969: 492/6)، وقيصريّة Caesarea سنة 726/107م (خليفة، 1985: 337) وخنجره Gangra سنة 727/109م (خليفة، 1985: 338؛ البعقوبي، 2000: 259/2) بالإضافة إلى أنّ استمرار تدفق الحملات على بلاد الروم بشكل سنوي تقريبا أجبر الروم على تبني سياسة دفاعية في أغلب فترات استقرار الدولة الأموية، وساهمت هذه الحملات في إلحاق خسائر عسكرية، واقتصادية، وبشرية كبيرة بالإمبراطورية.

3- الأوضاع داخل الدولتين عشية المعركة:

يبدو من المنطقي، بل من الضروري، الاطلاع على الحالة التي كانت تعيشها كلّ من الدولة الأموية والامبراطورية البيزنطية في السنوات التي سبقت المواجهة بينهما في أقرن (أكرونيون) حتّى نضع الحدث في سياقه التاريخي ما سيساعد على التفسير الموضوعي له.

كانت الدولة الأموية في ظلّ خلافة هشام بن عبد الملك تعيش حالة من الاستقرار إلى حدّ كبير، فعلى الصعيد الداخلي لم تعرف الخلافة أيّ حركة تمرد مناوئة هدّدت تماسك الجبهة الداخلية بشكل جدّي منذ تمرد يزيد بن المهلب في سنة 101-102هـ/720م، وحتّى الثورة التي قادها زيد بن علي في الكوفة بالعراق سنة 122هـ/740م لم تشكل أيّ قلق أو ازعاج حقيقي للسلطة في دمشق إذ سرعان ما تمّ إخمادها من طرف والي العراق يوسف بن عمر الذي قتل زيد بن علي في صفر/جانفي من نفس السنة (الطبري، 1969: 186/7) دون الحاجة إلى طلب التعزيزات من الخليفة، أمّا على الصعيد الإقليمي فقد استطاعت الدولة الأموية عشية مواجهة أقرن (أكرونيون) القضاء على خطر الترك في الشرق بعد الهزيمة الكبيرة التي ألحقها بهم أسد بن عبد الله القسري سنة 119هـ/737م (شعبان، 1987: 158) كما استطاعت الحدّ من تأثير الخزر وخطرهم على مراكز المسلمين في القوقاز وأرمينية أيضا الذي خيم على المنطقة لسنوات طويلة منذ نهاية القرن الأول هجري/الثامن ميلادي وسبّب الكثير من الازعاج للخلفاء واستقطب تركيزهم ومجهودهم بعيدا عن الجبهة البيزنطية، وقد استطاع المسلمون التخلص من ضغط الخزر بعد الحملة الكبيرة التي قادها مسلمة بن عبد الملك ضدّهم سنة 113هـ/731م (خليفة، 1985: 344؛ الطبري، 1969: 88/7) قبل أن يقوم مروان بن محمد بتحييد تهديدهم تماما بعد ذلك بست سنوات عندما اكتسح بقوّاته سنة 119هـ/737م بلاد اللان وبلنجر وسمندر وبلغ عاصمة الخزر نفسها التي تعرف في المصادر العربية بالبيضاء (خليفة، 1985: 349؛ البلاذري، 1992: 243-244) وقد انعكس هذا الوضع إيجابا على حملات الصوائف التي عرفت انتعاشا كبيرا يمكن ملاحظته بسهولة من خلال ارتفاع وتيرتها بالتزامن مع ذلك، خاصة في الفترة بين سنوات 114-121هـ/732-739م وهي المرحلة التي طالت فيها الهجمات الإسلامية مراكز بيزنطية مهمة داخل آسيا الصغرى مثل قيصرية Caesarea في قبادوقيا، وبافلاجونيا Paphlagonia في الشمال، وسيبرة Kibyra وسردة Sardis وسندرة Sideron في الغرب، وهكذا يتبين أن ضغط الدولة الأموية على خصمها كان كبيرا وأخذ وتيرة تصاعدية قبل المواجهة بينهما في أقرن (أكرونيون).

أمّا الدولة البيزنطية فقد عرفت بدورها فترة استقرار سياسي غير مسبوق في ظلّ حكم الأسرة الإيسورية بقيادة الامبراطور ليو الثالث Leo III الذي باشر منذ اعتلائه العرش سنة 98هـ/717م سياسة

إصلاحات عسكرية واقتصادية واعدة لإنعاش الدولة المنهكة في مواجهة خصومها الإقليميين خاصة الدولة الأموية التي استطاعت قواتها أن تحاصر مدينة القسطنطينية للمرة الثانية بالتزامن مع اعتلائه العرش البيزنطي حيث طبعت هذه اللحظة التاريخية توجّه الأسرة المعادي للمسلمين والدولة الأموية لاحقاً.

ارتكزت الإصلاحات التي قام بها ليو الثالث على إضفاء بعض التعديلات على نظام الثيمات (راجع التعليق رقم 7) حيث عمل على تقسيم الثيمات الأربعة التي تأسست في بادئ الأمر خلال القرن السابع ميلادي إلى ست مقاطعات، حيث ظهر ثيم تراقية Thracesian كمقاطعة مستقلة عن قائد الأناضول بعد أن تمّ اقتطاع جزء من غرب ثيم الأناضول وأُنزل فيه جند من تراقيا تحت قيادة ستراتيغوس Strategos وليس تورماخ Turmach كما في السابق، والثيم الثاني المستحدث كان البوكلاري Bucellari «البقلار في المصادر الجغرافية العربية» (ابن خردادبة، 1889: 108) الذي تأسس على القسم الشرقي من الأوبسيكيون Opsikion وقد تخصص في التموين، والإجراء الآخر الذي قام به ليو الثالث أيضاً هو منح قائد الثيم البحري كبرهايتوس Kibyrrhaiots لقب ستراتيغوس عوض درونجاريوس Drungarius (أدميرال -أمير البحر-) كما جرت عليه العادة من قبل، حيث لا نسمع بلقب ستراتيغوس الكبرهايتوس إلّا سنة 731م/113هـ، وعلى الرغم من أنه كان يتمتع باستقلالية تامة حتّى قبل هذا الإجراء إلّا أنّ هذه الخطوة رفعت من مكانة قائد الكبرهايتوس ليتساوى في المرتبة مع قادة الثيمات الآخرين مثل الأناضول والأرمينيا (أسد رستم، 1955: 301/1؛ 342-349-350؛ Bury, 1889) كما يبدو أنّ هذا التعديل الذي قام به ليو الثالث على الإقليم البحري قد رافقه أيضاً تحويل قاعدة الأسطول من الجزر الإيجية إلى مدينة كبريا Kibyra- Cybira في جنوب الأناضول وهي التي أعطت اسمها في النهاية لهذا الإقليم البحري (Treadgold, 1997: 352) وهكذا أصبحت قيادة الأسطول البحري أقرب من ذي قبل إلى الساحل الشامي.

بجانب التعديلات الإدارية والعسكرية السابقة ربّما يكون ليو الثالث قد قام أيضاً بإجراء آخر مهم يقضي بترع الصلاحيات المالية من قادة المقاطعات العسكرية حيث نجد في وقت لاحق أنّ المسائل المالية كانت تحت إشراف موظفين مختصين (Bury, 1889: 349) وقد أدّت تعديلات ليو الثالث إلى تحجيم ثيم الأناضول بصفة خاصة بحيث لم يعد مهيمناً على آسيا الصغرى كما في السابق حتّى وإن بقي على قدر كبير من الأهمية، وتفسّر بعض المراجع هذا الإجراء الذي قام به ليو الثالث برغبته في الحدّ من نفوذ وموارد قادة الثيمات حتّى يأمن خطرهم ويدعم مركزه في العرش في مواجهة كلّ تمرد محتمل (أسد رستم، 1955: 301/1؛ فتحي عثمان، د. ت: 99/1؛ Bury, 1889: 350) لكنّ هذه الإصلاحات ساهمت أيضاً من دون شك في تحسين أداء جنود الثيمات.

كما اهتمّ ليو الثالث أيضاً بالنهوض بالحياة الاقتصادية لبلاده، حيث أصدر مجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوغا Ecloga "المختارات" سنة 726م التي تعتمد في جوهرها على قانون جستنيان، وشملت هذه المختارات القانونية جوانب متعدّدة، وفي الجانب الاقتصادي منها تعرّضت إلى التجارة البحرية Leges navales حيث تضمّنت قانوناً يهدف لتنظيم هذا النشاط (مؤنس عوض، 2007: 216-217) أمّا في

المجال الزراعي فقد أصدر قانون المزارعين Leges rusticae سنة 726م بالتزامن مع إصدار الاكلوغا، ويضم 28 مادة (مؤنس عوض، 2007: 217؛ أسد رستم، 1955: 299/1) للحيلولة دون وقوع ضرر بالإنتاج وممتلكات القرويين من خلال تحديد العقوبات التي تفرض على كل من يتسبب في إلحاق الخسائر بزراعة المجتمع (رنسيما، 1997: 250).

إن هذه الإصلاحات العميقة التي طبقها هذا الامبراطور مؤسس الأسرة الإيسورية قد بدأت تعطي نتائج إيجابية على الأرض، حيث أصبحت الإمبراطورية أكثر تماسكا وصلابة في مواجهة المسلمين، وأصبحت الحملات الموسمية تلقى صعوبات حقيقية عند التوغل في بلاد الروم وتواجه بمقاومة عنيفة، والخسائر في صفوف المسلمين التي كانت قليلة جدا ولا تأتي المصادر على ذكرها إلا نادرا قبل وصول هذه الأسرة إلى السلطة نجدها أصبحت أقل غرابة بعدها في ظل حكم الإمبراطور ليو الثالث الذي كان يتميز بالحيوية والذكاء مع كفاءة عسكرية وتنظيمية عالية.

4- صائفة سنة 740/122هـ ومعركة أقرن (أكرونيون):

كان سليمان بن هشام (راجع التعليق رقم 8) قد بدأ قيادة الحملات ضد بلاد الروم منذ سنة 114هـ/132م (خليفة، 1985: 346؛ الطبري، 1969: 90/7) واختص في البداية بجهة العمليات عبر الجزيرة فيما يعرف بالصوائف اليمنى مركزا نشاطه على منطقة قبادوقيا شرق آسيا الصغرى، في حين كان أخوه معاوية مكلفا بقيادة الصوائف اليسرى الأكثر أهمية وتجهيزا عبر الثغور الشامية، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 119هـ/737م إثر حادث عرضي عقب عودته من الغزو (ابن عساكر، 1995: 283/59؛ Theophanes, 1997: 570) أصبح سليمان هو الغالب على قيادة الصوائف حتى وفاة أبيه هشام بن عبد الملك، وأكبر تحرك عسكري اضطلع به ضد البيزنطيين كان سنة 122هـ/740م حين قاد حملة كبيرة على بلاد الروم تقدر المصادر البيزنطية عدد أفرادها بتسعين ألف رجل (Theophanes, 1997: 571) حدث فيها أن اشتبكت الطليعة التي أرسلها سليمان لتتقدم الجيش بقيادة مالك بن شبيب، مع جيش بيزنطي يقوده الإمبراطور ليو الثالث بنفسه رفقه ابنه وولي عهده قسطنطين عند حصن أكرونيون وهذه المواجهة البارزة في تاريخ الحروب الأموية البيزنطية تملك عنها تفاصيل مهمة لحسن الحظ في المصادر العربية والبيزنطية على حد سواء، ومحاولة التوفيق بينها ستساعدنا على رسم صورة منطقية وأقرب للحقيقة حول وقائع هذه المواجهة.

بعدها أتم سليمان بن هشام استعداداته في منطقة دابق (راجع التعليق رقم 9) الحدودية شمال حلب كما جرت عليه العادة باعتبارها قاعدة تجمع وانطلاق جيوش الصوائف للغزو خلال العهد الأموي (ابن عساكر، 1995: 346/2؛ ابن العديم، د ت: 48/1) يبدو أنه تحرك بقواته قاصدا آسيا الصغرى عبر منطقة قيليقية Cilicia التي بفضل موقعها ومراكز المسلمين فيها كانت محطة رئيسية في طريق حملات الصوائف وأحد الروافد المهمة لها، ومنها اجتاز درب البوابات القيليقية شمالا وعندما أصبح داخل الأراضي البيزنطية أرسل السرايا لتتقدم جيشه عميقا داخل الأناضول بينما بقي هو مع الجيش الرئيسي في حدود ستين ألف رجل بنواحي طوانة (Theophanes, 1997: 571) فتقدمت الطليعة بقيادة مالك بن شبيب

وعبد الله البطال وكانت تضم بضعة آلاف من الجند (راجع التعليق رقم 10) باتجاه الغرب حتى وصلت منطقة حصن أقرن Akroinon بالقرب من عمورية Amorion، وكان الإمبراطور ليو الإيسوري رفقة ابنه قسطنطين قد تمياً بشكل جيد لإيقاف زحف المسلمين على آسيا الصغرى، فلما علم بانفصال مالك بن شبيب عن القوات الرئيسية للحملة ووصوله إلى نواحي أقرن (أكرونيون) وقلة من معه من الجند أراد استغلال الفرصة التي لاحت له فتقدم بجيشه نحو القوات الإسلامية لمواجهتها، وكان قائد الحصن صهرا للبطال حسب ما ترويهِ المصادر العربية فأعلمه بخروج الإمبراطور لملاقاته وبكثرة من معه من الجنود (مائة ألف في الرواية العربية) وأشار عليه بالانسحاب إلى مدينة سنادة Synada جنوبا والتحصن بها حتى يلحق به سليمان بن هشام بجيش الصائفة، لكن قائد السرية مالك بن شبيب لم يأخذ بهذا الرأي بتأثير من مساعديه الذين لم يقتنعوا برواية قائد الحصن واعتبروا نصيحته للبطال مجرد مكيدة، وهكذا قرر مواصلة عملياته في المنطقة والتوغل أكثر داخل بلاد الروم حتى وجد نفسه بعد ذلك بيوم واحد فقط في مواجهة جيش بيزنطي يفوق قوّاته بأضعاف، وبعد مشاورات سريعة مع البطال قرّرا في ظلّ غياب هامش المناورة أمامهما الاحتكام إلى الخيار الأصعب وهو الاشتباك مع القوّات البيزنطية، فدارت بين الطرفين معركة عنيفة استطاع فيها المسلمون رغم التفوّق العددي للبيزنطيين الصمود طيلة اليوم لكنّها في النهاية انتهت بانتصار ساحق للروم الذين تمكّنوا من إبادة القسم الأكبر من السرية بما في ذلك القائد مالك بن شبيب، وعبد الله البطال، والكثير من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة كعبد الوهاب بن بخت، وانسحب من نجا من المعركة مع نهاية اليوم إلى مدينة سنادة فتحصنوا بها فلحق بهم الإمبراطور ليو الإيسوري من الغد وضرب عليهم الحصار، لكنّه اضطرّ إلى الانسحاب والعودة إلى القسطنطينية بعدما وصلته الأخبار بتقدّم سليمان بن هشام نحوه على رأس القوّات الرئيسية لحملة الصائفة، الذي وصل إلى سنادة بعد المعركة بأيام قليلة وبقي بها حتى أسعف من أصيب من المسلمين في القتال ثم رحل عنها (ابن عساكر، 1995: 406-405/33؛ 460-459/56).

لقد انتهت هذه الحملة، رغم ما حقّقه من مكاسب مادية (Theophanes, 1997: 571)، إلى كارثة حقيقية فقد تمّ أسر وإبادة عدد معتبر من قوّات المسلمين الذين لم يتكبّدوا خسائر. يمثل هذا الحجم الكبير منذ هزيمة طوّانة سنة 704/85م، كما فقدوا فيها عددا من أبرز المقاتلين الذين اشتهروا في غزوات الصوائف وأحدث هنا بشكل خاص عن عبد الله البطال (راجع التعليق رقم 11)، الذي جعلت منه القصص بطلا أسطوريا في جهاد البيزنطيين وتغنّت به الأشعار وما أبداه من شجاعة في هذه المعركة بالذات في قصيدة تصوّر في مطلعها بوضوح النتيجة التي انكشفت عنها موقعة "أقرن" عندما تصف بحزن كيف انتهى جيشه بأكمله جثثا على أرض المعركة (ابن عساكر، 1995: 407-406/33)، وفي ظلّ صمت المصادر العربية لا نجد تفاصيل عن حجم خسائر المسلمين إلّا في المصادر البيزنطية التي تقدّرها بأكثر من ثلاثة عشر ألف بين قتيل وأسير حيث لم ينج من القوّات التي واجهت الجيش البيزنطي إلّا حوالي ستة آلاف وثمانمائة رجل فقط (Theophanes, 1997: 571).

ترجع أسباب هذه النكسة كما هو واضح، إلى عدم تكافؤ القوة العسكرية لطرفي المواجهة حيث كان الجيش البيزنطي يفوق بأضعاف عدد أفراد السرية الإسلامية، كما أنّ المعركة دارت في ظروف مواتية

للبيزنطيين، وهذه المواجهة غير المتكافئة ساهمت في حدوثها سلسلة الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها المسلمون خلال هذه الحملة، منها افتقاد قائد الصائفة سليمان بن هشام للحذر اللازم وافتقاره إلى الحنكة العسكرية وإلا كيف يمكن تفسير سماحه لسرية بعدد محدود من الجند التوغل عميقا في بلاد العدو حتى ينقطع بينهما الاتصال، فقد كان هو بنواحي طوانة بينما واصل مالك بن شبيب تقدّمه حتى أكروينون على مسافة أكثر من أربعمئة كيلومتر بينهما، في حين كان من الأجدر أن يكون نشاط السرية في نطاق قدرة الجيش الرئيسي على دعمها سريعا عند الحاجة، كما أن عدم قدرة قائد السرية على اتخاذ القرارات الصائبة استنادا إلى معلومات توفّرت إليه عن حجم وقوة الجيش البيزنطي بقيادة الإمبراطور نفسه دفعت مباشرة باتجاه هذه النهاية المؤلمة، فقد تجاهل مالك بن شبيب رأي عبد الله البطال، الذي أشار به عليه صهره كما سبق ذكره، بضرورة الانسحاب والتحصّن بسنادة حتى وصول الدعم، وهذا الأمر لو تمّ كان كفيلا بتحقيق سلامة أفراد السرية وكان منح مالك بن شبيب القدرة على الدفاع والمقاومة لعدة أيام، وأكثر من هذا كان سيتيح له الاستفادة من هذه المعلومة الخطيرة وتبليغها لقائد الجيش سليمان بن هشام حتى يأتي وهو على استعداد كامل مدركا لحجم التحدي الذي سيواجهه. كما تُظهر هذه النكسة كذلك ضعف عمليّات الاستطلاع وجمع الأخبار عند الجيش الإسلامي فبينما كان الإمبراطور البيزنطي على اطلاع كامل بتحركات المسلمين في المنطقة وحتى عدد قوّاتهم كان سليمان بن هشام ومالك بن شبيب يجهلان تماما استعدادات الإمبراطور الكبيرة لمواجهة المسلمين.

لقد كانت موقعة أقرُن (أكروينون) آخر المواجهات البرية الكبرى بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، وقد تخلّصت آسيا الصغرى من خطر المسلمين بشكل كبير بعد انكسارهم في هذه المعركة (فتحي عثمان، د. ت: 94/2) وستعرف بعدها حملات الصوائف انحسارا رهيبا، نتيجة الصدمة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين هناك، قبل أن تنكفئ الدولة الأموية على نفسها وتنشغل بجروها الداخلية التي تفجّرت في كل مكان بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م (خليفة، 1985: 363)، وهكذا لم يسعفها الوقت لاستدراك ما حلّ بقوّاتها وهيبته في أكروينون، ومن جهة أخرى ستستغل الإمبراطورية البيزنطية الزخم المعنوي الذي حقّقته بعد المعركة وأيضا اضطراب أحوال الدولة الإسلامية بعد ذلك بقليل للانتقال إلى موقع المبادرة.

5- تداعيات الهزيمة في أقرُن (أكروينون)

أسهمت النتائج التي تجلّت عنها معركة أكروينون في انعكاسات عميقة في العلاقات بين الطرفين وفي تحوّل كبير في مجرى الصراع بينهما، حيث استغلت الإمبراطورية الزخم المعنوي الذي صاحب انتصارها الكبير على المسلمين وتخطيم جيشهم قرب حصن أكروينون والارتباك الذي أصابهم بعد ذلك للانتقال إلى وضعية الهجوم وعكس الضغط ضدّ خصمها الرئيسي الدولة الأموية، وهكذا بعد سنة واحدة فقط من هذه الموقعة أرسل الإمبراطور البيزنطي حملة من عشرين ألف رجل بقيادة ابنه قسطنطين Constantine لاستهداف ملطية (البلاذري، 1992: 220-221؛ البلاذري، 1996: 408/8)، وتعتبر هذه المرة الأولى التي تنفّذ فيها بيزنطة عملية عسكرية برية هجومية بهذا الحجم ضدّ الدولة الأموية منذ نصف قرن

تقريباً عندما هاجمت سميساط سنة 80هـ/700م، وفي مقابل جيش بيزنطي كبير لم يكن أمام ملطية، التي لم يكن فيها من القوّات ما يكفي لردّ العدوان، إلّا الاستماتة في الدفاع عن نفسها حتّى وصول المدد الذي أرسلت في طلبه بشكل عاجل، وعليه تقرّر الاستعانة حتّى بالنساء اللائي تمّ إلباسهنّ العمام وتوزيعهنّ على سور المدينة للتمويه وتضليل العدو الذي تمكن مع ذلك من إلحاق أضرار كبيرة بالمدينة قبل أن تصل التعزيزات التي طلبتها (البلاذري، 1992: 220-221؛ Cheira, 1947: 230-231) واضطرّ الخليفة هشام بن عبد الملك إلى توجيه صائفة ذلك العام أي سنة 123هـ/741م لنجدة سكان ملطية في مواجهة الروم، رغم أنّ المصادر الإسلامية تختلف في تحديد تاريخ هذه الحملة -الصائفة- حيث توردها بين سنتي 121هـ/739م و122هـ/740م، ويذكر خليفة وابن عساكر فيما يتعلّق بأحداثها أنّ هشام بن عبد الملك سار بنفسه حتّى بلغ ملطية (خليفة، 1985: 352؛ ابن عساكر، 1995: 67/58)، ويؤكد البلاذري هذه الوقائع مع تفاصيل أكثر حيث يذكر أنّ هشاماً عندما بلغه الخبر وهو بالرصافة استنفر الناس للحاق بملطية ثمّ جاءه البريد بعد ذلك بانسحاب القوّات البيزنطية فأرسل من الجند من يربط بها وواصل هو الاستعداد للحملة وأقبل في جيوشه عبر الرقّة متقلداً سيفاً حتّى وصل ملطية فأقام بها وأعاد بناء ما خرّبته الروم، لكنّه يؤرخها سنة 123هـ/741م (البلاذري، 1992: 221) بينما يرويها محبوب المنجي Agapius في أحداث السنة التي شهدت تمرد قائد ثيم الأوبسيكيون أرتباسدوس Artabasdos على قسطنطين الخامس، أي في سنة 124هـ/742م (Agapius, 1909: 2/250). وترتيب الأحداث بشكل منطقي يفضي إلى اعتماد رواية البلاذري دون تحفظ. لكن ما يثير الانتباه بشدة أنّ المصادر البيزنطية لا تأتي مطلقاً على ذكر هذه الحملة رغم أهميتها باعتبارها أول عمل عسكري بري هجومي كبير للروم ضد الأراضي الإسلامية منذ فترة طويلة.

وتذكر المصادر البيزنطية أنّ قسطنطين الخامس Constantine V بعد تنويجه امبراطوراً خلفاً لأبيه ليو الثالث استعد للقيام بهجوم آخر ضدّ الأراضي الإسلامية للسنة الثانية على التوالي (عام 124هـ/742م) حيث انتقل بقوّاته إلى ثيم الأوبسيكيون وعسكر هناك لإتمام استعداداته قبل التوجه لاستهداف المنطقة الحدودية مع الدولة الإسلامية، إلّا أنّ تمرد صهره أرتباسدوس Artabasdos قائد الأوبسيكيون أفسد خططه ومنعه من مواصلة الحملة (Theophanes, 1997: 575) ما يثبت فعلاً نيّة البيزنطيين الاستمرار في استثمار نتائج معركة أكروينون لمواصلة الضغط على المسلمين والانتقال إلى وضعية الهجوم المستمر باستهداف مراكزهم الرئيسية في الثغور، وقد خدمت الأحداث اللاحقة مخططاتهم حيث أتاح الفوضى التي عمّت الدولة الأموية منذ 126هـ/744م بالتزامن مع استرجاع الإمبراطورية البيزنطية الاستقرار على المستوى الداخلي، كلّ هذا أتاح الوقت الكافي وهيئ الظروف المناسبة للبيزنطيين لتغيير قواعد المواجهة مع المسلمين من الدفاع إلى الهجوم.

أمّا فيما يتعلّق بالدولة الأموية فقد أثّرت هزيمة أقرن وحملة قسطنطين على ملطية بعدها بعام كثيراً على معنويات المسلمين وروحهم القتالية، ويظهر ذلك جليّاً في أحداث حملة الصائفة سنة 124هـ/742م، فرغم أنّ الظروف كانت مواتية لتحقيق انجاز جديد يستعيد به المسلمون توازنهم والثقة في امكانياتهم، نظراً لما

كانت تمرّ به الإمبراطورية البيزنطية من فوضى، حيث عادت تمزّقها الخلافات الداخلية من جديد مع اندلاع الصراع على السلطة بين أرتباسدوس وقسطنطين الخامس كما تم الإشارة إليه سابقا (Theophanes, 1997: 575; Michel, 1901: 2/502). إلّا أنّ سليمان بن هشام الذي قاد حملة تلك السنة أيضا لم يستطع الاستفادة من تلك الظروف لاستعادة زمام المبادرة وترجيح كفة المسلمين مرّة أخرى في صراعهم مع خصومهم البيزنطيين، فبعدما توغل في آسيا الصغرى وجد نفسه في مواجهة جيش قسطنطين الخامس الذي كان متمركزا بمقاطعة الأناضول، لكنّ سليمان بشكل غريب لا يمكن تفسيره تفادى الاصطدام به (اليعقوبي، 2000: 260/2؛ الطبري، 1969: 199/7؛ ابن الأثير، 1987: 464/4؛ ابن كثير، 1997: 130/13) واتجه شمالا إلى منطقة بافلاجونيا أين لم يجد أيّ مقاومة جدّية تعترضه نتيجة انشغال الروم بصراعاتهم الداخلية، وهكذا استطاع أن يحقق نصرا سهلا، فقتل عددا كبيرا من البيزنطيين (خمسين ألف حسب رواية محبوب المنبجي وهو رقم كما يبدو مبالغا فيه كثيرا) واستولى على غنائم كثيرة وعدد معتبر من الأسرى (Theophanes, 1997: 576; Agapius, 1909: 2/250).

إنّ هذه الحادثة لو صحّت ترسم لنا صورة واضحة عن الحالة النفسية التي كان عليها المسلمون بعد موقعة أكروينون، فيبدو أنّ صدمة الخسائر الفادحة التي تكبّدوها في تلك المعركة ما زالت حيّة في أذهانهم، وعليه فضّل سليمان أن يحقق نصرا في المتنازل على المغامرة ضدّ جيش قسطنطين الذي كان مشغولا أصلا بحروب مستمرة مرهقة مع قوآت منافسه أرتباسدوس، لكن مع ذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ قرار سليمان بعدم مواجهة جيش قسطنطين ربّما يرجع إلى عدم تكافؤ القوة بين الطرفين، فحتّى في ظلّ صمت المصادر عن حجم حملة الصائفة التي قادها سليمان تلك السنة يبدو أنّها كانت محدودة العدد فعلا حيث تزامن الإعداد لها مع انشغال هشام بن عبد الملك بالأحداث في شمال إفريقيا بعد الثورة الخطيرة التي قام بها البربر هناك (ابن عبد الحكم، 1996: 364؛ الطبري، 1969: 191/7) وكان قد قام قبل ذلك بأشهر قليلة بتجهيز وإرسال جيش كبير من الجند الشامي يضم اثنا عشر ألف رجل بقيادة كلثوم بن عياض سنة 123هـ/741م لمواجهة ثورة البربر (القيرواني، 1994: 65) ما أثار على قدرة الخلافة في تجنيد المقاتلين لتكوين حملة قوية ضدّ الروم.

تجعل الدراسات التاريخية من هذه المعركة حدثا فاصلا وضع حدّا للمد الإسلامي في الأناضول، فالدكتور أسد رسم مثلا يقول إن المسلمين بعد هذه الهزيمة «اضطروا أن يجلوا عن غربي آسيا الصغرى، وأن يتراجعوا شرقا فجنوبا» (أسد رستم، 1955: 293/1) وتبعه في هذا الرأي الكثير من الدارسين ممن جاء بعده فتبناوا استنتاجه دون تمحيص (حسنين ربيع، 1983: 106؛ فتحي عثمان، د. ت: 103؛ قطوش، 2010: 160) فهل كانت حقا هذه الهزيمة حاسمة إلى هذه الدرجة في صراع المسلمين مع الروم؟ ما يجب التعقيب عليه أولا أنّ المسلمين لم يكونوا يحتفظون بمواقع ثابتة في غربي آسيا حتّى يرتدّوا عنها ويقومون بإخلائها كنتيجة مباشرة لهذه الهزيمة، والمناطق الوحيدة التي كانت تحت سيطرة المسلمين في آسيا الصغرى تقع في الشرق وفي الجنوب (منطقة قيليقية تحديدا) وقد احتفظ بها المسلمون حتى بعد هذه الهزيمة ولم يتأثر وجودهم فيها بما حلّ بهم في أكروينون، أمّا حملات المسلمين فلم تتوقّف بعد هذه المعركة كما تعرضنا إليه

سابقا حتّى وإن كان المسلمون قد فقدوا توازنهم بعدها واستولى عليهم الارتباك وكانت حملاتهم أقلّ تأثيراً إلّا أنّهم واصلوا مع ذلك تجريد الصوائف داخل العمق البيزنطي، وعليه لا يمكن الجزم بالتأثير القطعي الفوري لهذه الهزيمة في إيقاف زحف المسلمين على آسيا الصغرى كما توحى به بعض الدراسات التاريخية، كما يجب أن نأخذ في الحسبان كذلك تأثير الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية على صراعها مع البيزنطيين بعد معركة أكروينون، فقد شهدت الخلافة بالتزامن مع هذه المواجهة ثورة خطيرة للبربر في شمال إفريقيا اضطرت معها هشام بن عبد الملك إلى التخلّي عن قسم كبير من قوّاته الشامية التي كانت مكلفة بالعمليات الموسمية ضدّ البيزنطيين، وارسالها إلى بلاد المغرب كما مرّ علينا سابقاً، بالإضافة إلى أنّ الخلافة بعدها لم تلبث إلّا سنوات قليلة حتّى دخلت في حروب داخلية خطيرة بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م أدّت إلى سقوطها في نهاية المطاف سنة 132هـ/750م، والتوقّف الذي عرفته حملات الصوائف بالتزامن مع هذه الفتنة لم يكن له علاقة أبداً بما حدث في أقرن (أكروينون) بل كان نتيجة انشغال المسلمين بصراعاتهم الداخلية، فالشام والجزيرة اللتين كانتا تعتبران القاعدتين الرئيسيتين لتجهيز وإطلاق حملات الصوائف والشواتي كانت تعمّهما الفوضى بعدما أضحتا منطقة حروب مستمرة بين القوى المتصارعة، كما أنّ القبائل التي كانت تقطنها والتي اختصّت بتنفيذ حملات الصوائف والشواتي على جبهة الروم دون غيرها من مقاتلة الأمصار الأخرى (البلاذري، 1992: 191) وجدت نفسها مشغولة بهذه الفتنة والحروب الأهلية ما منعها من لعب دورها الطبيعي في الصراع مع البيزنطيين.

ثمّ إنّنا نجد المسلمين بعد فترة الفوضى التي أعقبت انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين يسترجعون زمام المبادرة ويعيدون إطلاق حملات الصوائف من جديد، وإن كانت في بداية العهد العباسي روتينية لم يكد معظمها يتجاوز منطقة الثغور، مثل حملة محمد بن النضر (أو سعيد بن عبد الله عند الطبري) سنة 133هـ/751م (خليفة، 1985: 410؛ الطبري، 1969: 460/7)، وحملة سعد بن عبد الرحمن الرحبي سنة 135هـ/753م الذي بقي بدابق وفرّق السرايا لحراسة الدروب (خليفة، 1985: 411)، وحملة صالح بن علي التي لم تتجاوز منطقة الثغور هي الأخرى سنة 138هـ/756م (خليفة، 1985: 417؛ اليعقوبي، 2000: 332/2)، وهي كلّها حملات دفاعية كما هو واضح بهدف التصديّ لتحركات الروم في المنطقة، إلّا أنّ الحملات أصبحت هجومية وأكثر قوّة لاحقاً ووصل بعضها إلى قلب الأناضول وحقّقت نتائج جيّدة، مثل صائفة صالح بن علي والعباس بن محمد سنة 139هـ/757م حيث تمكنت هذه الحملة التي استهدفت المناطق الشرقية للإمبراطورية من إلحاق خسائر كبيرة بالبيزنطيين إذ تمّ تحييد ضابط رفيع هو قائد ثيم الأرمنيّاق بول Paul والقضاء على العديد من جنوده وأسر عدد معتبر من الروم من بينهم أكثر من أربعين شخصية بارزة (Theophanes, 1997: 596)، ثمّ صائفة الحسن بن قحطبة في أكثر من ثلاثين ألف رجل سنة 162هـ/779م التي وصلت حتّى أذرولية Dorylaion أين أمضت هناك أسبوعين وفي طريق العودة حاصروا عمورية لمدة يوم لكنهم تركوها بعدما أدركوا استحالة الاستيلاء عليها نظراً لتحصيناتها القوية، وقد أدّت عمليّات المسلمين إلى إلحاق أضرار كبيرة بالمنطقة (الطبري، 1969: 142/8؛ Theophanes, 1997: 624)، ومن شلّة ما لاقى الروم من ابن قحطبة في هذه الحملة سمّوه التنين

(البلاذري، 1992: 199)، وفي السنة التي تلتها (عام 163هـ/780م) قاد هارون الرشيد ابن الخليفة محمد بن عبد الله المهدي الصائفة ونجح في الاستيلاء على حصن صمالو وإخلاءه من سكانه (البلاذري، 1992: 201؛ يعقوبي، 2000: 347/2) في شهر سبتمبر بعد حصار طويل استغرق كامل فصل الصيف، ووصلت السرايا التي فرّقتها في المنطقة حتّى غربي آسيا الصغرى أين اصطدمت بقوّات ثيم تراقيسيّان تحت قيادة ميكائيل لاشانودراكون (Theophanes, 1997: 625). صحيح أنّ الصوائف في بداية العهد العباسي لم تصل إلى نفس مستوى أدائها في العهد الأموي وهذا يرجع إلى عدة أسباب في الحقيقة، منها الأوضاع الداخلية الهشّة التي ميّزت الفترة الأولى لتأسيس الدولة العباسية، وأيضاً تقاعس الخلفاء العباسيون الأوائل في مواجهة الروم حيث لم يمتلكوا نفس الحماس والإرادة التي كان عليها الخلفاء الأمويين في حروبهم ضدّ البيزنطيين ما أتاح لهؤلاء الآخرين استعادة زمام المبادرة ضدّ خصومهم المسلمين ومنحهم الوقت الكافي لتكليف عقيدتهم العسكرية من الوضع الدفاعي إلى الوضع الهجومي ما سمح للإمبراطورية البيزنطية في النهاية تحقيق تكافؤ عسكري مع نظيرتها الخلافة العباسية، إلّا أنّ المسلمين في العهد العباسي لم يتوقّفوا مع ذلك عن التوغل داخل آسيا الصغرى ولو على فترات متقطعة.

6- خاتمة:

تعتبر معركة أقرن (أكروينون) من المعارك المعلمية في الصراع بين المسلمين والروم، حيث عرفت الإمبراطورية البيزنطية كيف تستغل أخطاء المسلمين في تلك المواجهة لتحقيق انتصار عسكري كبير على خصومها غاب عنها لمدة طويلة جداً، ولا شك أنّ هذه المعركة قد أحدثت انقلاباً في وضعية الصراع بين الطرفين فالانتصار الذي حقّقه الروم في هذه المعركة قد أعطاهم دفعا معنوياً كبيراً ومنحهم ثقة أكبر في امكانياتهم العسكرية ودفعهم للتخلّي عن استراتيجية الدفاع المطلق إلى تبني سياسة أكثر هجومية ضدّ المسلمين، وقد كانت الظروف في كلا الدولتين تسير في صالحهم لتحقيق هذا الانقلاب في عقيدتهم العسكرية وفي موازين القوّة مع خصومهم المسلمين على حد سواء، ففي مقابل الاستقرار الكبير الذي حظيت به الإمبراطورية في عهد قسطنطين الخامس بعد القضاء على تمرد أرتباسدوس، كانت الأمّة الإسلامية تعيش حالة فوضى وانفلات أمني كبير لسنوات طويلة نتيجة الحروب الداخلية العنيفة التي أعقبت اغتيال الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م والفتن والتمردات التي واكبت قيام الدولة العباسية، ورغم أنّ الهزيمة في أقرن قد كسرت فعلاً وتيرة الحملات العسكرية الموسمية للمسلمين ضدّ الروم إلّا أنّه لا يمكن الذهاب إلى حدّ الجزم بأنّها كانت حاسمة ومفصلية لدرجة إيقاف اندفاعهم تماماً في آسيا الصغرى كما تريد أن تصوّره بعض المراجع.

7- الهوامش وقائمة المراجع

الهوامش:

1. صحابي من الأوس شهد فتح دمشق، كان والياً على حمص (20-24هـ) من طرف عمر بن الخطاب حتى عزله عثمان بن عفان (ابن عساكر، 1995: 46/478-484).
2. كانت أول صائفة في العهد الأموي سنة 42هـ/662م (الطبري، 1969: 5/172).

3. تذكر المصادر أن أول شتاتية ببلاد الروم كانت سنة 42هـ/662م في حملة بحرية شارك فيها عبد الملك ابن مروان وكان حينها يبلغ السادسة عشر من العمر (ابن عساكر، 1995: 114/37).
4. **ملطية:** من أكبر مدن الثغور متصلة ببلاد الروم، فتحت لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب على يد حبيب بن مسلمة الفهري، تتميز بموقع مهم باعتبارها ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الحيوية والأنهار وكانت من أهم محطات عبور جيوش المسلمين إلى آسيا الصغرى (الجزيري، 2003: 111-112).
- الحدث:** مدينة صغيرة بما حصن يحمل نفس الاسم يعتبر من أهم المعاقل الإسلامية في الثغور فتحت على يد حبيب بن مسلمة الفهري في خلافة عمر بن الخطاب، تتحكم في درب مهم جدا لتحركات جيوش المسلمين نحو بلاد الروم يعرف بدرب الحدث (ياقوت الحموي، 1977: 227/2؛ الجزيري، 2003: 97).
- مرعش:** مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم بما حصن يعرف بالمرواني تم استحداثه في عهد مروان بن محمد كانت قاعدة مهمة لحملات المسلمين ضد بلاد الروم (ياقوت الحموي، 1977: 107/5؛ الجزيري، 2003: 84).
5. **المصيصة:** مدينة من ثغور الشام تقع على ضفة نهر جيحان وهي بين أنطاكية وبلاد الروم (ياقوت الحموي، 1977: 145/5).
6. **طُوانة:** مدينة في بلاد الروم تتمتع بأهمية استراتيجية كبيرة تقع على الطريق الرابط بين الشام والبوسفور وتشرف على مضيق البوابات القبلبية في جبال طوروس من الشمال (فتحي عثمان، د. ت: 81/2).
7. **الثيمات أو الثيماتا Themata** هو نظام اداري عسكري نشأ في بيزنطة في القرن السابع ميلادي على الأرجح لمواجهة التحديات الخارجية ويقضي بتقسيم الأراضي البيزنطية إلى مقاطعات (ثيمات) تتمركز فيها فرق عسكرية لحمايتها وعلى رأس كل مقاطعة حاكم يحمل لقب ستراتيغوس Strategos يتقلد السلطة المدنية والعسكرية فيها (سعيد شحاتة أبو الجدايل، 1995: 273-304).
8. هو ابن الخليفة هشام بن عبد الملك من أم حكيم بنت يحيى بن أبي العاص، اشتهر بقيادة حملات الصوائف ضد بلاد الروم في خلافة أبيه، وشهد الفتن التي عمّت الشام أواخر العهد الأموي قتله أبو العباس السفاح مع قيام الدولة العباسية (ابن عساكر، 1995: 395/22-400).
9. **دابق:** قرية تقع على بعد أربعة فراسخ من حلب، بما مرج فسيح معشّب وكانت معسكرا لتجمع قوّات الصوائف عند غزو بلاد الروم في عهد بني مروان (ياقوت الحموي، 1977: 416/2).
10. تختلف المصادر في تقدير حجم الطليعة التي قادها مالك بن شبيب وأفضت به إلى أقرن (أكرونيون) فابن عساكر يذكر أنها كانت تتكوّن من ثمانية آلاف فرد، بينما المؤرخ البيزنطي ثيوفانس يذكر أن عددها كان عشرين ألفا.

11. اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاة عبد الله البطال ويظهر عليها الكثير من التشويش والارتباك، حيث يورد ابن عساكر (تاريخ دمشق) روايات مختلفة تجعل وفاته في سنوات 112هـ و113هـ و121هـ، بينما يذكر كل من خليفة (تاريخه) ومسكويه (تجارب الأمم) أنه قتل في بلاد الروم سنة 121هـ، في حين يذكر الطبري (تاريخ الرسل) وابن الأثير (الكامل في التاريخ) وابن كثير (البداية والنهاية) أنه قتل سنة 122هـ وهو الأصح.

قائمة المراجع:

أولا- العربية:

المصادر:

1. ابن الأثير عز الدين: **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1987.
2. البلاذري أحمد بن يحيى: **البلدان وفتوحها وأحكامها**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، بيروت، 1992.
3. البلاذري، أحمد بن يحيى: **أنساب الأشراف**، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996.
4. ابن خردادبة عبيد الله: **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889.
5. خليفة بن خياط العصفري: **تاريخ خليفة**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، 1985.
6. الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1994.
7. الطبري محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، مصر.
8. ابن عبد الحكم عبد الرحمن: **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق وتقديم محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996.
9. ابن العديم كمال الدين: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، حققه وقدم له سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
10. ابن عساكر علي بن الحسن: **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها**، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.
11. ابن كثير عماد الدين: **البداية والنهاية**، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، مصر، 1997.

12. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
13. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت، 2000.
- المراجع:
14. أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط 1، بيروت، 1955.
15. ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، مصر، 1997.
16. عائشة سعيد شحاتة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) «دراسة في التطورات والتغيرات»، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 1995.
17. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية 41-132هـ/661-750م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، بيروت، 2010.
18. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر.
19. محمد حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983.
20. محمد عبد الحي محمد شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية 600-750م (132هـ)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.
21. محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، (330-1453م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، الجيزة، 2007.

ثانياً - الأجنبية:

- 1- Agapius de Menbidj: *Histoire Universelle*, Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev, Paris 1909.
- 2- J. B. Bury: *A History of Later Roman Empire*, Macmillan and co, London 1889.
- 3- Michel le syrien: *Chronique de Michel le Syrien*, Traduite par J. B. Chabot, Paris 1901.
- 4- M. A. Cheira: *La lutte entre Arabes et Byzantins, La conquête et l'organisation des frontières aux 7 et 8 siècles*, Société de publications égyptiennes, Alexandrie 1947

- 5- Theophanes: **The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284–813**, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon press. Oxford 1997.
- 6- Warren Treadgold: **A History of the Byzantine State and Society**, Stanford University Press, California, 1997.